يا نفسُ توبي فإنّ الموتَ قدْ حانا ... واعصِ الهوى فالهوى مازال فتّانا
في كـلِّ يـومٍ لنـا ميـتٌ نشيِّعـه ... ننسى بمصرعه.. آثار موتانا
يا نفس ما لي وللأموال أكنزها ... خلفي وأخرج من دنياي عريانا
ما بالنا نتعامى عن مصارعنا ... ننسى بغفلتنا من ليس ينسانا
فكم رأينا أناساً صالحين قضوا ... موتاً وقد سلبوا ديناً... وإيمانا
واستبدلوا الكفر بالإيمان وانفصلوا ... بسوء خاتمةٍ للموت... أعيانا
أبعد خمسين قد قضّيتها لعباً ... قد آن تقصيرها قد آن... قد آنا
أين الملوك وأبناء الملوك ومن ... كانت تخرُّ له الأذقان إذعانا
صاحت بهم حادثات الدهر فانقلبوا ... مستبدلين من الأوطان أوطانا
أخلَوا منازلَ كان العزُّ مفرشها ... واستفرشوا حفراً غبراً وقيعانا
يا راكداً في ميادين الهوى فرحاً ... ورافلاً في ثياب الغيّ نشوانا
مضى الزمان وولى العمر في لعبٍ ... يكفيك ما قد مضى قد كان ما كانا[1]

* * *

الكُميت والفرزدق :

لما قال الكُميت بن زيد الأسدي ـ من أسد مضر بن نزار ـ الهاشميات قدم البصرة فأتى الفرزدق فقال : يا أبا فراس ، أنا ابن أخيك ، قال : ومن أنت ؟ فانتسب له ، فقال : صدقت فما حاجتك ؟ قال : نُفث على لساني ، وأنت شيخ مضر وشاعرها ، وأحببت أن أعرض عليك ما قلت ، فإن كان حسناً أمرتني بإذاعته ، وإن كان غير ذلك أمرتني بستره وسترته عليَّ ، فقال : يا بن أخي ، أحسب شعرك على قدر عقلك ، فهات ما

(١) من الروض الفائق للشيخ الحريفيش : ١٤ .

قلت راشداً ، فأنشده :

طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطربُ ولا لعباً منِّي ، وذو الشَّيب يلعبُ

قال : بلى فالعب ، فقال :

فلم يُلهني دارٌ ولا رسم منزلٍ ولم يتطرَّبني بنانٌ مخضَّبُ

قال : فما يطربك إذاً ؟ قال :

وما أنا ممّن يزجر الطير همُّهُ أصاح غرابٌ أو تعرَّض ثعلبُ

قال : فما أنت ويحك ؟ وإلى من تسمو ؟ فقال :

وما السانحات البارحات عشيَّةً أمرَّ سليم القرنِ أم مرَّ أعضبُ

قال : أما هذا فقد أحسنت فيه ، فقال :

ولكن إلى أهل الفضائل والنُّهى وخير بني حوَّاء ، والخير يُطلبُ

قال : ومن هم ويحك ؟ قال :

إلى النَّفر البيض الذين بحبِّهم إلى الله فيما نابني أتقرَّبُ

قال : أرحني ويحك! من هؤلاء ؟ قال :

بني هاشم رهط النبي فإنني بهم ولهم أرضى مراراً وأغضبُ

قال : لله درُّك يا بني ، أصبت فأحسنت ، إذ عدلت عن الزعانف والأوباش إذاً لا يصرَّد سهمك ، ولا يُكذَّب قولك ، ثم مرَّ فيها ، فقال له : أظهر ثم أظهر وكدِ الأعداء ، فأنت والله أشعر من مضى وأشعر من بقي[1] .

* * *

(١) من مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي ٣/ ٢٢٩ .